عنوان المحاضرة الخامسة :

السرد في كتب الأخبار

عنوان المحاضرة الخامسة : السرد في كتب الأخبار

حظي تدوين الخبر بنصيب وافر في الثقافة العربية الإسلامية ، وكانت البدايات الأولى للأخبار في النوادر والطرائف وأحاديث السمر، وحصل تطور في نقل الخبر من الشفاهة إلى التدوين في تراثنا العربي.

1-تعريف الخبر:

نتعرض لتعريف الخبر في كتب اللغة العربية ثم نذكر المعنى الاصطلاحي له .

أ- الخبر في اللغة :

ورد الخبر في المعاجم اللغوية بمعنى النبأ ، وجمع أخبار ،واسخبرهُ :سأله عن الخبر ،وطلب أن يُخبره به ، وخُبرت بالأمر؛أي علمته والاستخبار والتخبُر :السؤال عن الخبر».

ومنه حمل الخبرالدلالات اللغوية التالية:العلم بالسؤال أو الشيء أو الحدث والإخبار،ووردت كلمة الخبر في القرآن الكريم بمعنى العمل في سورة التوبة الآية 94حيث قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّاتَعْتَذِرُوا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾*».

وكما وردت كلمة الخبر في سورة النمل الآية 7 حيث قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لَأَهْلِه ،إِنِّي ءانَسْتُ نارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أو ءآتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ . سورة النمل الآية 7.

ومنه فمفهوم الخبر في القرآن الكريم هو العلم والعمل، وهنا معنى الخبر يحدده السياق في الآيات القرآنية الكريمة.

ب-الخبر في الاصطلاح :

إن الخبر هو الأحدوثة، وهي الواقعة،التي يسردها شاهدها،أو ينقلها عن سارد آخر،ويختلف عن الظرف والنادرة إذ لايشترط فيها الطرافة،وقد لاتكون للإمتاع ،وأخذ العبرة ، وفيها ميل نحو التوفيقية .

ومنه فالخبر هو نوع من توثيق الحوادث ،التي تجري في التاريخ عن طريق الرواي ناقل الخبر».

إن الخبر هو سرد حادثة وتوثيقها ونقلها عن طريق ساردها يرويها عن نفسه، وهنا قد لايكون الهدف من عرض الخبر هو الإمتاع .

3-أنواع الخبر : ورد في التراث العربي الخبر على نوعين :

أ-الخبر البسيط: هو الخبر الذي يحمل حدثًا بسيطًا يقوم على ثنائية (الاستخبار /الأخبار) سردية واحدة ترد مفردة أو تتكرر في الخبر الواحد ».

أ- الخبر المركب: يكون في القصص ، وأحداث سردية يمكن أن يستقل بعضها عن بعض ،إلا أن تعاقبها في نص واحد ينشأ بينها وحدة جديدة لها بنية مخصوصة ».

ومنه فالتراث العربي عرف نوعين من الخبر هما الخبر البسيط يكون فيه الحدث بسيطًا ، والخبر المركب تكون فيه أحداث عديدة متعاقبة.

5-أساليب الخبر :

تنوعت أساليب الخبر في النصوص السردية القديمة ، فهناك ثلاثة أساليب :

أ-الأسلوب السامي :

يكون في الخبر ،الذي يستند تقديمه إلى مختلف العلاقات ،التي تجسدها بالحفاظ على مختلف منجزات التقاليد الكلامية ، وبالحفاظ على قواعد اللغة والمغالاة في توظيف المحسنات البلاغية

ب-الأسلوب المنحط:

يتجلى في الأخبار،التي لاتهتم بالقواعد والتقاليد الأدبية المعترف بها في سرد الأخبار (السير الشعبية) .

ج-الأسلوب المختلط : هو الخبر الذي يكون أسلوبه بين ماهو سامي ، وماهو منحط لغايات بلاغية خاصة ونجد تمثيلات عديدة له عند الجاحظ والقلقشندي والابشهي» .

ملاحظة: نعني الأسلوب المنحط الضعيف والسخيف.

تجدر الإشارة إلى أن هناك فرق بين الراوي في سلسلة السند ،والراوي الحقيقي للخبر فهو على فرض واقعية وجود الراوي، فهو لايؤثر إلا نادرًا في بنية الخبر».

تحتل صياغة الخبر أهمية كبيرة لدى الأدباء ، وقد اختلف الكتاب في تدوين الأخبار حسب غاياتهم.

6-مسار تأليف الخبر :

في البداية نشير إلى أن القرن الأول الهجري لم يشهد بداية التأليف في الأخبار ،وبدأ التدوين في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة،واستمر في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،ونلمس ذلك في المؤلفات من قبيل :أخبار اليمن لعبيد بن شر بن الجرهمي وعيون الأخبار لابن قتيبة ».

ونلاحظ في كتب الأخبار الأولى خصوصًا في كتب الجاحظ والمبرد وابن قتيبة أن أصحابها لم يلتزموا بالإسناد على نحو متصل ، وعلى خلاف ذلك نجد الأصفهاني ذكر أساليب الخبر ،ونجد أن الجاحظ حين ينقل الخبر يخرج عن حد الرواية إلى حد التاريخ ، ومن بنية الأخبار أن يتقنع الراوي بالإسناد على نحو متصل،ورغم كون المؤلف مبدعًا للخبر،الذي يسوقه ؛فإنه ينبغي أن يتظاهر بأنه قد نقله عن غيره ».

أضاف كل أديب لمسار تأليف الأخبار ،وخصوصًا الجاحظ الذي خصص جزء معتبر من كتبه لتدوين الأخبار المتنوعة«وتنوع الأخبار واتساع مجالاتها قاد إلى استحالة العثور على إطار يحددها ،ومع تزايد التأليف أصبحت الأخبار ميدانًا مخصوصًا يختلف عن العلوم العربية منها: الشعر ،الفتوح ، وأصبحت الأخبار جزءًا من الأدب

« ولقد بلغ من إيثار العرب للأخبار أن الجاحظ يجعلها من المعارف(الأدبية) التي يقصد إليها قصدًا».

ركز الجاحظ كثيرًا على الخبر وأولاه أهمية كبيرة في تدوين المعارف العربية، ولكون الخبر مادة الحكي الأساسية.

7- منهج العلماء في سرد الأخبار :

إن لكل عالم منهجه الخاص في تدوين أخباره ، وعندما نعقد مقارنة بين ابن قتيبة الدينوري والطبري نجد أن منهج ابن قتيبة في الأخبار أفقده الكثير من العناصر الحيوية في القصة ،في حين استطاع الطبري الإمساك بلحظات التوتر والقوة ، وأن يضع قارئه في جو

الترقُّب والخوف والقلق بالحوار الفاعل المؤثر؛وأما ابن قتيبة فقد صبّ اهتمامه على الحوار، وطريقة الدينوري في التاريخ ستعجب لمن لايهتم بالسرد مثل:اليعقوبي،فهو يسرد التاريخ حكاية طويلة متصلة،وينتقل من حدث إلى آخر دون ذكر أساليبه واليعقوبي يسير على خطى ابن قتيبة،ولكنه أكثر اختصارًا وأبعد عن السرد الفني منه،وإن اشترك معه في أهمية الحوار، فهؤلاء الثلاثة انصب اهتمامهم على الشخص التاريخي».

تجدر الإشارة أنه هناك فرق بين طريقة المؤرخ والأديب في نقل الأخبار، ونلاحظ بأن السرد الأخبار في القديم وفق منهجية دقيقة ، وفي سياق متصل يعد مصنف المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الابشيهي أمتع وأظرف الكتب الأدبية والدينية، جمع فيه مؤلفه من نوادر الأخبار والأشعار والخطب والكلام الحسن».

وفي الأخير نصل إلى القول بأن الغالب على كتب الأخبارهو تحقيق الإفادة والتعلم ،ولمسنا بعض الاستثناءات مثل ذلك ماجاء في كتاب المستظرف لشهاب الدين الابشيهي .